القراءات القرآنية بين الرسم القرآني وتوجيه المعنى

Reading the Quranic Between Writing of Quran and the meaning

م. د. عليّ حسين حمادي التميميّ(*)
م. د. محمد عبد أبو جاسمّ(*)
M. Dr.. Ali HussainHammadM . Dr . MuhmadAbid Aboalialihussain97777@gmail.comhjymmm3599.uh4@gmail.com

الملخص

يختلـف مفهـوم القرآن عن مفهوم القراءة القرآنيّة ، إذ إنّ الأول هو كلام الله تعالى المنزّل على النبيّ محمد (صلّى الله عليه وآله وسـلّم)، في حين أنّ القراءة هي الأداء الصوتيّ الذي يقوم به القارئ عند قراءته للنص الكرين ؛ ولذا فقد اختلفت القراءات القرآنيّة بحسب العادات النطقيّة التي يمتلكها كلّ قارئ .

وقد وضع قرّاء القرآن شـروطاً للقراءة الصحيحة ، ومنها أن تكون موافقة للرسـم القرآنيّ، إلاّ أنّنا نجد أنّ القرّاء قد خروجوا في مواضع كثيرة على هذا الشرط . وقد اختلفت الطرق التي خرجوا بها، فمنها: القراءة بالحذف أو الزيادة ، واختلاف الحركة الإعرابيّة المؤدية إلى اختلاف رسـم المصحف،

(*) المديرية العامة للتربية في النجف الأشرف

والاختلاف بالقراءة بين الاسم والفعل ، والقراءة بالكلمة المرادفة للمعنى ، وغيرها من الوجوه.

ولعلّ من نافلة القول إنّ هذه الاختلافات ستؤدي إلى اختلاف في المعنى المقصود في الآيات الكريمة ، ولذا يلحظ أنّ علماء التفسير ، وكذلك أصحاب كتب القراءات ، قد حاولوا توجيه كلّ قراءة بحسب المعنى المستفاد من طريقة القراءة ، وهذا ما يدلّ على إقرارهم لهذه القراءات على الرغم من خروجها في مواضع كثيرة على الرسم القرآنيّ.

وهذا البحث محاولة لاستقصاء المواضع التي خرج بها القرّاء على الرسم القرآنيّ ، وبيان المعنى الذي تحقق في كلّ موضع منها ، فضلاً عن محاولة التعرّف على المسوّغات التي أدّت إلى هذا الخروج، وبيان القراءة الأقرب للمعنى ، أو الموافقة لسياق النص الكريم، أو التي تحقق إعجازاً بلاغيّاً أكثر من غيرها.

الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية ، الرسم القرآني ، توجيه المعنى.

Abstract

Reading the Quranic text may come to mind as the Holy Quran. however, after investigation, it becomes clear that there is a significant difference between the two. The Holy Quran is the speech of Almighty Allah upon His Prophet Mohammad (peace be upon Him and His Household). While Reading the Quranic text is to apply the vocal system on the words. Thus, each reader makes his effort in his interpretation according to his culture, linguistic environment and personal diligence. That's why, there are many readings for the Quranic text. Some scientists select the most accurate readings (they may be seven, eight, ten and fourteen) depending on some criteria.

Some scientists have attempted to guide reading based on its meaning. Accordingly, The purpose of the study is to explain the divergent attitudes of readers and their differences, particularly, the differences in substitution and ellipses and rising. Furthermore, the study sheds a light on the differences between the nouns and verbs, Eelision and Gemination, reading with the pronunciation synonymous with meaning as well as the difference in diactries.

Keywords: Reading the Quranic .writing of Quran , the meaning

تمهيد

يختلف مفهوم مصطلح (القرآن الكريم) عن مفهوم مصطلح (القراءة القرآنيّة)، وهذا ما يبدو من تعريف العلماء لكلٍّ منهما، فقد عرّف الزركشيّ القرآن بقوله: (هو الوحي المنزّل على محمدٍ r للبيان والإعجاز) (الزركشيّ، ٢٠٠٦م، ١ – ٢٢٣). وعرّفه الشريف الجرجانيّ، بقوله: (هو المنزَّل على الرسول، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة) (الجرجانيّ، ٢٠٠٣م، ١٤٢). وعرّف الزركشيّ القراءة بقوله: (هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف، أو كيفيّتها، من تخفيف وتثقيل وغيرها) (الزركشيّ، ٢٠٠٦م، ١ – ٢٢٣). في حين عرّفها الكفويّ، بقوله: (ضمّ الحروف، والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل. ولا يُقال ذلك لكلّ جمع؛ بدليل أنّه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوّه به قراءة) (الكفويّ، ١٤٣٣ه، ٥٩١). وقد أقرّ علماء القراءات (ابن الجزريّ، د. ت، ١ – ٩) أنّ شروط القراءة الصحيحة ثلاثة، هي:

١. كلّ قراءة وافقت العربيّة ولو بوجه.

٢. وافقت المصاحف العثمانيّة ولو احتمالاً.

٣.صحَّ سندها.

ويبدو أنّ المقصود بـ (صحة سندها): تواترها عن القرّاء السبعة، وليس تواترها عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، يؤيّد ذلك قولالزركشيّ، إذ قال: (والتحقيق أنّها متواترة عن الأئمة السبعة، أمّا تواترها عن النبيّ r، ففيه نظر. فإنّ إسناد الأئمة السبعة بهذه القراءات السبع موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد، لم تكمل شروط التواتر في استواء الطرفين والواسطة، وهذا شيءٌ موجود في كتبهم) (الزركشيّ، ٢٠٠٦م، ١ – ٢٢٤). والغريب أنّ الزركشيّ يعود بعد ذلك بقليل؛ ليقول: إنّ (القراءات توقيفيّة وليست اختياريّة خلافاً لجماعة منهم الزمخشريّ، حيث ظنّوا أنّها اختياريّة تدور مع اختيار الفصحاء، واجتهاد البلغاء) (الزركشيّ، ٢٠٠٦م،١ - ٢٢٥)، وأكّد هذا الكلام، بقوله: (وقد انعقد الإجماع على صحة قراءة هؤلاء الأئمة، وأنّها سنّة متبعة، ولا مجال للاجتهاد فيها... وإنّما كان كذلك؛ لأنّ القراءة سنّة مرويّة عن النبيّ r، ولا تكون القراءة بغير ما روي عنه) (الزركشيّ، ٢٠٠٦م، ١ – ٢٢٦). ولا يُعلم ما المقصود بـ (أنّ القراءات توقيفيّة وليست اختياريّة). فإن قصد بتوقيفها من قِبل الله – تبارك وتعالى – والنبيّ (صلّى الله عليه وآل وسلّم)، فلِمَ نفى تواترها عنه (عليه الصلاة والسلام) في النصّ المذكور أولاً. وإذا كان منهج القرّاء يعتمد على الرواية والأداء؛ لأنّ (قراءة القرآن سنّة) (ابن مجاهد، ٢٠١٠م، ٥٢)، ولأنّ (أئمة القراءة لا تعمل في شيءٍ من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربيّة، بل على الأثبت في الأثر، والأصحّ في النقل والرواية، إذا ثبت ذلك عنهم لم يردّها قياس عربيّة، ولا فشو لغة) (الجزريّ، د. ت، ١ - ١٠ – ١١). ثمّ إذا كانت ثابتة في الأثر، وصحيحة النقل والرواية، فلِمَ جعل العلماء اختيارات القرّاء في قراءتهم على درجات من الفصاحة، فقراءة نافع وعاصم (أَوْلى القراءات وأصحّها سنداً، أو أفصحها في العربيّة، ويتلوها في الفصاحة خاصّة قراءة أبي عمرو والكسائيّ) (الزركشيّ، ٢٠٠٦ م، ١ - ٢٣٢). ورأى ابن

قتيبــة أنّ اختلاف القرّاء نتيجة اختــلاف اللهجات، وأنّه أمرٌ من الله – تبارك وتعالى – لنبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، (فكان من تيسيره أن أمره بأن يُقرئ كلّ قومٍ بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم ... ولو أنّ كلّ فريق من هؤلاء أُمِر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً وناشــئاً وكهلاً لاشــتدّ ذلك عليه، وعظمت المِحنة فيه، ولم يمكنه إلاّ بعد رياضةٍ للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة. فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات، ومتصرفاً في الحركات) (ابن قتيبة، ٢٠٠٧ م، ٣٢). إذا كان الأمــر، كمــا ذهب إليه ابن قتيبة، فلِمَ جمع عثمان المســلمين على مصحفٍ واحد؟ أليس في هذا تعسير، بعد تيسير الله تعالى، ورسوله الكريم؟ فضلاً عن ذلك، فقد دخل الإسلام أقوام، ليسوا عرباً في زمن عثمان، أكثر بكثير ممّن كان داخلاً في زمن الرســول (صلّى الله عليه وآله وســلّم)، والمشقة على هؤلاء ستكون أكبر من مشقة العرب؟!.

وإذا كان عثمــان قــد جمــع الناس على مصحــفٍ واحد، فنســخ مصاحف عدّة منه، وأرســلها إلى الأمصــار، وأمــر بحرق كلّ ما ســواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف (الزركشــيّ، ٢٠٠٦ م، ١ – ١٧١ – ١٧٢)، فما الأثر الذي سوف يحدثه هذا المصحف الإمام، إذا كان الاختلاف واقعاً بسبب العــادات النطقيّة عند الناس، وقــد بقيت القراءات القرآنيّة وتعدّدت، (فكثــر الاختلاف حول ما يحتمله رسم المصاحف العثمانيّة التي وجّه بها عثمان إلى الأمصار... وقام ابن مجاهد على رأس المئة الثالثة للهجرة بجمع سبع قراءات لسبعة من أئمة الحرمين والعراقين والشام، اشتهروا بالثقة والأمانة والضبط وملازمة القراءة، وكان اكتفاؤه بالسبعة محض صدفة واتفاق، إذ كان عدد القرّاء أكثر من ذلك بكثير) (صــلاح، ٢٠٠٥ م، ١٨). إنّ القــرّاء الســبعة الذين اختارهم ابن مجاهد، لم يكــن وجودهم في عصر واحــد، ولــو رجعنا إلى تأريخ وفاة كلّ واحد منهم لوجدنــا أنّ (عبد الله بن عامر [ت ١١٨هـ]، عبد الله بن كثير [ت ١٢٠هـ]، عاصم بن أبي النجود [ت ١٢٧هـ]، أبو عمرو بن العلاء [ت ١٥٤ هـ]، حمزة بن حبيب الزيات [ت ١٥٦ هـ]، نافع بن نُعيم [ت ١٦٩هـ]، عليّ حمزة الكســائيّ [ت ١٨٩هـ]. ولعلّ الكسائي قد ولد بعد وفاة عبد الله بن عامر – على أقلّ تقدير – إذ إنّ بين وفاة ابن عامر والكسائيّ إحدى وســبعين ســنة. وابن مجاهد المتوفى [ت ٣٢٤ هـ]، أي بعد وفاة آخر القرّاء – الكسائيّ – بمئة وخمس وثلاثين ســنة، فلِمَ لم يعمد إلى القراءات المشهورة في عصره، ويجمع أكثرها ثقة وأمانةً وضبطاً. ولو قــال أحد: إنّ رواة قراءة هؤلاء الســبعة كانوا معروفين بالأمانة والضبــط، فيمكن أن يجاب عن ذلك، بمــا ورد مــن اختلاف بين رواة القارئ الواحد، وخير دليلٍ علــى ذلك اختلاف رواة عاصم (أبي بكر، وحفص) في رواية القراءة عنه، فإن كانت قراءته واحدة، فلِمَ اختلفوا فيها، وإن كانت له قراءتان، فما الذي يعنيه ذلك؟ وســيلحظ اختلاف هذين القارئين عنه في أثناء البحث، وســأذكر مثالاً الآن دليلاً على هــذا الاختــلاف، وذلك اختلاف روايتهما عن عاصــم في قراءة (أرجلكم) من قوله تعالى:) فاغســلوا وجوهَكم وأيديَكم إلى المرافقِ وامسحوا برؤوسِكم وأرجلكم إلى الكعبين([سورة المائدة: ٦]، إذ (روى أبــو بكر عن عاصم: (وأرجلِكــم) خفضاً. وروى حفص عن عاصم: (وأرجلَكــم) نصباً) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٢٤٢ – ٢٤٣). ولا ننســى أنّ هذا الاختلاف يُبنى عليه اختلاف في حكم فقهيّ، إمّا المســح، أو الغسل.

وإذا (لم يكن الخطّ العربيّ سبباً في اختلاف القراءات، بل كان مساعداً على استيعاب القراءات الصحيحة بحالته التي كان عليها عند كتابة المصاحف العثمانيّة من إهمال النقط والشكل، فليست العبرة بالخطّ، وإلاّ لاعتمدت قراءات يسمح الخطّ بها) (جولد تسهر، ١٩٩٢ م، ٨). وإذا كان الاختلاف في القراءات اختلافاً صوتيّاً تبعاً للهجة التي انحدر منها القرّاء من قبائلهم، التي ورثوا عنها صفاتها النطقيّة، فما السبب الذي جعل القرّاء يقرؤون الكثير من الألفاظ بطريقة لا تأتلف فيه مع الرسم القرآنيّ، وليس لها علاقة بالصفات النطقيّة، وهو ما سيلحظ في أثناء البحث. وذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أنّه (إذا كان رسم المصحف العثمانيّ لا يُخالف، ولا يصحّ الخروج عن رسمه، فهل هذا يعني أنّ هذا الرسم تلزمنا القراءة به، وأنّه صورة للكلمات القرآنيّة المنطوقة، وأنّه بهذا الاعتبار يحدّد طريقة القراءة والأداء كما يحدّد طريقة الرسم أو الكتابة؟. الحقّ الذي لا مرية فيه أنّ الرسم غير القراءة؛ لأنّ القراءة مصدرها الرواية، والرسم مصدره طريقة الكتابة المعروفة إذ ذاك، وبناءً على هذا أنّنا نقرأ الآية، وننطق بكلماتها كما رويت لا كما رُسمت، ولو سرنا في طريق الرسم وحده لخرجنا بالقرآن عن حقيقته، التي نزل بها، وترتّب على ذلك أنّنا نقرأ كلمات من القرآن بطريقة لم ترِ عن النبيّ عليه السلام. من أجل ذلك يصحّ لنا أن نقرّر أنّ القراءة هي الأصل، والرسم تابع لها) (مكرم، ١٩٦٨ م، ٢٢ – ٢٣). فهل يعني ذلك أنّ القرآن تابع للقراءة؟!

وقد ثبت لدى العلماء أنّ القرآن كلّه (كان مجموعاً في عهد الرسول r ، وأنّه ما نزلت آية إلاّ وقد أمر رسول الله r مَن يكتب له أن يضعها في موضع كذا من سورة كذا) (مكرم، ١٩٩٦ م، ١٠)، أو على أقلّ تقدير (كُتب كلّه في عهد رسول الله r لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتّب السور) (السيوطيّ، ١٤٢٩ ه، ١ – ١١٦). إنّ القراءة القرآنيّة غير القرآن، فالقرآن واحد، والقراءات متعددة ومختلفة اختلافاً أجازه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)؛ (تسهيلاً على المسلمين، وتيسيراً على مَن لم تمكّنه عاداته النطقية، ولهجته التي نشأ عليها من نطق النصّ القرآنيّ على الفصحى الأدبيّة الشائعة) (صلاح، ٢٠٠٥ م، ٩)، فنفهم من ذلك أنّ القراءات القرآنية صفات صوتيّة (يمكن إرجاعها إلى بعض اللهجات العربيّة. وتنتمي هذه الصفات الصوتية إلى أشهر القبائل، وأوسعها انتشاراً؛ لذلك وجدت كلّ العناية بين القرّاء، وروعيت في القراءات القرآنية؛ لأنّها الصفات التي شاعت في معظم قبائل العرب، والتي تأصّلت في لهجاتهم، فاتخذ القرّاء منها نماذجهم في فن القراءات) (أنيس، ١٩٩٢ م، ٥٨ – ٥٩). ولم يمرّ وقت طويل حتى أخذ الناس يتمسّكون بحروف قراءاتهم تمسّكاً شديداً، وكلّ فريق يعتقد أنّ قراءته هي القراءة المنزّلة، ومن هنا كثر الجدل والخلاف، وكان ذلك مصدر الخوف أن ينال القرآن تصحيف أو تحريف (المخزوميّ، ١٩٨٦ م، ١٦).

ولو حاولنا استقراء المظاهر التي اختلف فيها القراء، وتغيّر الرسم القرآني، والمعنى تبعاً لذلك، لوجدنا أنّ أهمّ هذه المظاهر هي:

اختلاف القراءة بالإبدال:

اختلفت قراءات القرّاء بالإبدال بين مفرداتها، وقد اتخذ الإبدال صوراً متعدّدة، لعلّ أهمها:

القراءة بإبدال بين حرفين:

اســتبدل بعض القرّاء حروفاً موجودةً بغيرها في الآيات القرآنيّة الكريمة، من ذلك ما جاء في قوله تعالى:) لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلاّ أن تقطع قلوبهم ([ســورة التوبة: ١١٠]، إذ (اختلفوا في (إلاّ أن) فقرأ يعقوب بتخفيف اللام، فجعله حرف جرّ. وقرأ الباقون بتشــديدها على أنّه حرف استثناء) (الجزريّ، د. ت، ٢ – ٢٨١). وقد نسب الفرّاء هذه القراءة إلى الحسن البصريّ، فقال: (وقرأ الحسن (إلى أن تقطع) بمنزلة حتّى، أي حتى تقطّع. وهي في قراءة عبد الله (ولو قُطّعت قلوبهم) حجة لمَن قال (إلاّ أن تُقطّع) بضم التاء) (الفرّاء، ٢٠٠٢ م، ١ – ٣٠٤). ولعلّ ممّا يُلحظ هنا أنّ عبد الله بن مسعود لم يُغيّر الحرف فقط، بل غيّر صيغة الفعل من المضارع إلى الماضي أيضاً.

ومنه قوله تعالى:) قل لن يصيبنا إلاّ ما كتب الله لنا ([سورة التوبة: ٥١]، إذ نقل الزمخشريّ أنّه (قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: قل هل يصيبنا. وقرأ طلحة رضي الله عنه: هل يصيبنا) (الزمخشريّ، ٢٠٠٩ م، ٢ – ٢٦٩). فالذي يلحظ الفرق الكبير بين رســم الحرفين أولاً، وثانياً: اختلاف المعنى بين الحرفين، إذ إنّ (لن) تفيد نفي المســتقبل، في حين أنّ (هل) حرف اســتفهام خرج لغرض النفي، وليس فيه تحديد للزمن المنفي، إذ إنّه لو قُدّر بمعنى: ما، لكانت دلالته على الحاضر فقط.

ومثله قوله تعالى:) يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ([سورة التوبة: ١١٩]، ففي (مصحف عبد الله، وقراءة ابن عباس (من الصادقين)، وروي ذلك عن أبي عبد الله u) (الطبرسيّ، ١٤٢٦ ه، ٥ – ١٩٨). والفــرق واضح في رســم الحرفين والمعنى الــذي يفيده كلّ منهما، فعلى قراءة (مع الصادقين) لا يكون المخاطبون مشــمولين بصفة (الصادقين)، وإنّما جاء فعل الطلب (كونوا) كي يحثّهــم علــى أن يقتدوا بهم، فيصبحوا في معيّتهم، في حين أنّهم مع قراءة (من الصادقين) يكون الطلب دالّاً على أن يتحلّوا بهذه الصفة، ويكونوا من المشمولين بها.

ومن صوره – أيضاً – إبدال الفاء بالواو، من ذلك قوله تعالى:) وتوكّل على العزيز الرحيم([سورة الشعراء: ٢١٨]، إذ (قرأ نافع وابن عامر (فتوكّل) بالفاء، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقون (وتوكّل) بالواو، وكذلك هي في سائر مصاحفهم) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٤٧٣)، ويُلحظ أنّ أبا عليّ الفارســيّ يكتفي بقول: (الوجهان حســنان) (الفارسيّ، ٢٠٠٧ م، ٤ – ٩٤)؛ توجيهاً للاختلاف في هذه القراءة. ومنه – أيضاً – قوله تعالى:) فدمدم عليهم ربّهم فسـوّاها ولا يخاف عقباها ([ســورة الشــمس: ١٤ – ١٥]، إذ قرأ (نافع وابن عامر (فلا يخاف) بالفاء، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشــام. وقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكســائيّ (ولا يخاف) بالواو، وكذلك هــي فــي مصاحفهم) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٦٨٩). ويُلحظ أنّ ابن غلبون قد رجّح القراءة بالفاء على الواو معلّلاً ذلك، بقوله: (فمَن قرأ بالواو كره له الابتداء بها؛ لأنّ الكلام متعلّق بما قبله، وذلك أنّ الواو فــي موضع الحال علــى أحد التقديرين: أحدهما: أن يكون من الله تعالى، المعنى: وسـوّاها غير خائف أن يتعقّب عليه في ذلك. والآخر: أن يكون الحال من (الأشــقى)، المعنى: إذ انبعث أشــقاها غير خائف العاقبة على ذلك. أي: في هذه الحال. وأمّا مَن قرأ بالفاء، فإنّه يســتأنف، فيقول: فلا يخاف عقباها. أي: فلا يخاف الله تبعة ما نزل بهم من العذاب) (ابن غلبون، ٢٠٠١ م، ٥٤٦).

ومـن صـوره – أيضـاً – إبدال لام التوكيد بـ (لا) النافيـة، من ذلك قوله تعالى:) واتقوا فتنةً لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة ([سورة الأنفال: ٢٥]، إذ (قرأ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب u، وزيد بن ثابت، وأبو جعفر الباقر u، والربيع بن أنس، وأبو العالية (لتُصيبنَّ)، والقراءة المشـهورة (لا تصيبنَّ)) (الطبرسيّ، ١٤٢٦ ه، ٤ – ٦٣٩). ونسب الزمخشريّ (الزمخشريّ، ٢٠٠٩ م، ٢ – ٢٠٥) هذه القراءة لابن مسـعود. إنّ قراءة الآية الكريمـة بالنفي (لا تصيبنَّ) تتعارض مع قواعد النحاة، التي اشـترط فيها جمهورهم أن يكون الكلام مثبتاً (الأندلسيّ، ٢٠٠٥ م، ٥ – ٣٠٤). ورأى الفرّاء (الفرّاء، ٢٠٠٢ م، ١ – ٢٧٣) والزمخشـريّ (الزمخشـريّ، ٢٠٠٩ م، ٢ – ٢٠٥) أنّ (لا) ناهيـة. ورأى أبـو حيّان أنّ جملة (لا تُصيبنَّ) (جواب قسـم محذوف، والجملة موجبة، فدخلت النون في محلها، ومطلت الـلام فصـارت (لا)، والمعنـى: لتصيبـنَّ، ويؤيد هذا قراءة [تقـدم ذكرهم] لتصيبـنَّ، وفي ذلك وعيد للظالمين فقط) (الأندلسيّ، ٢٠٠٥ م، ٥ – ٣٠٥).

ومنه قوله تعالى:) قل لو شـاء الله ما تلوته ولا أدراكم به ([سـورة يونس: ١٦]، إذ (قرأ قنبل (ولأدراكـم) بغيـر ألف قبل الهمزة. وقـرأ الباقون بألف قبل الهمزة) (ابن غلبـون، ٢٠٠١ م، ٢٩٣). ونسـب الزمخشـريّ هذه القراءة لابن كثير (الزمخشريّ، ٢٠٠٩ م، ٢ – ٣٢٤). وقد فرّق ابن غلبون بيـن القراءتيـن، بقولـه: (فمَن قرأ بالألف لم يبتدئ بـه؛ لأنّه معطوف على ما قبله مـن قوله (ما تلوته عليكـم)، فهـو متعلّـق بالتلاوة، وداخل معها بالنفـي. ومَن قرأ بغير ألف جاز لـه أن يبتدئ به؛ لأنّه اسـتئناف إخبـار بإيقـاع الدراية بالقرآن من الله لهم. فهو منقطع من النفي الـذي قبله، وغير داخل فيه) (ابن غلبون، ٢٠٠١ م، ٢٩٣).

إبدال بين كلمتين بتغيير أحد حروفها:

وردت بعض القراءات مسـتبدلةً كلمة بأخرى تشـابهها في المعنى، وتخالفها في الرسم بحرف واحـد فقـط، مـن ذلك ما ورد في قوله تعالـى:) إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنّم ([سـورة الأنبياء: ٩٨]، فقد نقل بعض المفسّرين (قراءة عليّ u، وعائشة، وابن الزبير، وأبي بن كعب، وعكرمة (حطب) بالطاء) (الطبرسـيّ، ١٤٢٦ ه، ٧ – ١٧٣). ويفرّق الخليل بين المفردتين، بقوله: (الحصب: الحطب للتنور، أو في وقود. أمّا ما دام غير مستعمل للسجور، فلا يُسمّى حصباً) (الفراهيديّ، ١٤٣٥ ه، ١ – ٣٨٨). والـذي يبـدو مـن تفريـق الخليل أنّ قراءة (حطـب) هي الأقرب للمعنـى، إذ إنّ الآية الكريمة جاءت على سبيل الإخبار عن المستقبل، واستعمال المفردة (حصب) لما استعمل للوقود، وهم لم يستعملوا بعدُ لذلك.

ومنـه قولـه تعالـى:) أم عندهـم خزائن ربّك أم هـو المصيطرون ([سـورة الطور: ٣٧]، إذ قـرأ (ابن عامر في رواية الحلوانيّ عن هشـام بن عمّار، والكسـائيّ في رواية الفرّاء (المسـيطرون) و(بمصيطر) [سورة الغاشية: ٢٢] بالسين. وقال هشام: كتابها بالصاد وتقرؤها بالسين. وقرأ ابن كثير (المسـيطرون) بالسـين، و(بمصيطر) بالصاد. وقرأ الباقون بالصاد فيهما، إلاّ أنّ حمزة يشمّها الزاي) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٦١٣).

ومنـه قولـه تعالـى:) وما هو على الغيب بضنين ([سـورة التكويـر: ٢٤]، إذ (قرأ ابن كثير،

وأبو عمرو والكسائي (بظنين) بالظاء. وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة (بضنين) بالضاد) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٦٧٣). واكتفى أبو عليّ الفارسيّ ببيان المعنى فقال: (معنى (بظنين) أي: بمتّهم، وهو من (ظننتُ) التي بمعنى: اتّهمتُ ... ومَن قال (بضنين)، فهو من البخل... والمعنى: أنّه يخبر بالغيب فيبثّه) (الفارسيّ، ٢٠٠٧ م، ٤ – ٥٢٣ – ٥٢٤).

إبدال بين الضمائر:

جاءت بعض القراءات القرآنيّة بالإبدال بين الضمائر، فيقرأ جماعة بضمير معيّن في المفردة، ويقرأ آخرون بضمير آخر مع الاختلاف في رسم الضمائر، من ذلك ما جاء في قوله تعالى:)وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب ([سورة آل عمران: ٨١]، (فقرأ نافع وحده (آتيناكم) بالنون. وقرأ الباقون (آتيتكم) بالتاء) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٢١٤).

ومثله قوله تعالى:)فكأيّن من قريةٍ أهلكناها ([سورة الحج: ٤٥]، إذ (قرأ أبو عمرو وحده (أهلكتها) بالتاء. وقرأ الباقون (أهلكناها) بالنون. وروى ابن جمّاز عن أبي بكر عن عاصم (أهلكتها) بالتاء) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٤٣٨).

ومن غريب الزيادة في الضمائر ما جاء في قوله تعالى:) ولئن رُددتُ إلى ربّي لأجدنّ خيراً منها منقلباً ([سورة الكهف: ٣٦]، إذ (قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر (خيراً منهما) بزيادة الميم بعد الهاء على التثنية، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والمدينة والشام. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي (خيراً منها) وكذلك هي في مصاحف أهل البصرة وأهل الكوفة) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٣٩٠). وقد رجّح أبو عليّ الفارسيّ قراءة (منها)، فقال: (الإفراد أَولى من حيث كان أقرب إلى الجنة المفردة قي قوله – عزّ وجلّ –)ودخل جنّته وهو ظالمٌ لنفسه ([سورة الكهف: ٣٥]. والتثنية لا تمتنع لتقدّم ذكر الجنتين) (الفارسيّ، ٢٠٠٧ م، ٣ – ٤٤١). ومثله قوله تعالى:)كانوا هم أشدّ منهم قوة وآثاراً ([سورة غافر: ٢١]، إذ (قرأ ابن عامر وحده (كانوا هم أشد منكم قوة) بالكاف، وكذلك في مصاحفهم. وقرأ الباقون (أشد منهم قوة) وكذلك في مصاحفهم) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٥٦٩).

ومن هذا الباب (أشهدتهم – أشهدناهم) [سورة الكهف: ٥١]، (خلقتك – خلقناك) [سورة مريم: ٩]، (جئتكم – جئناكم) [سورة الزخرف: ٢٤]، (اتبعتهم – اتبعناهم) [سورة الطور: ٢١]، (أنجيناكم – أنجيتكم) [سورة طه: ٨٠]، (واعدناكم – وعدتكم) [سورة طه: ٨٠]، (رزقناكم – رزقتكم) [سورة طه: ٨١].

اختلاف القراءة بين صيغة الاسم والفعل:

اختلف القرّاء في قراءتهم لبعض الآيات القرآنيّة الكريمة، فقرؤوا باختلاف في الألفاظ بين صيغة اسميّة، وأخرى فعليّة، من ذلك ما ورد في قوله تعالى:)وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم([سورة النمل: ٨١]، إذ (قرأ حمزة وحده (وما أنت تهدي العمي) بالتاء بغير ألف، وفي [سورة الروم: ٥٣] مثله. وقرأهما الباقون (بهادي العمي) مضافاً في السورتين) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٤٨٦). ويحتجّ أبو عليّ الفارسيّ لقراءة حمزة بورود مثل هذا الكلام في سورة أخرى، فقال:(حجّة حمزة قوله:

أفأنت تهدي العميَ([سـورة يونس: ٤٣]، والمعنى على تقدير: إنّك لا تهديهم لشـدّة عنادهم، وفرط إعراضهـم، وإذا كان كذلـك كان المعنى: إنّـك لا تهدي العمي... ومَن قرأ (بهـادي العمي) مضافاً في السـورتين، فاسـم الفاعل للحال، أو للآتي، وإذا كان كذلك، كانت الإضافة في نيّة الانفصال، فأمّا كتابة (بهـادي العمي) في هذه السـورة بالياء... وذلك أنّه كان حذف الياء من (هـادي) لالتقائها مع التنوين، وهمـا سـاكنان، فلمّا وقف حذف التنوين في الوقف، فلمّا حـذف التنوين عادت الياء التي كانت حُذفت) (الفارسـيّ، ٢٠٠٧ م، ٤ – ١٢١). إنّ إعجـاز القـرآن الكريم يكمن أولاً في نظمه الذي أعجز فصحاء العرب عن الإتيان بمثله، فاسـتعمل كلّ مفردة بما يتناسب وسياقها، والمعنى المقصود منها. وفي اللغة العربيّة فارقٌ في استعمال الاسم أو الفعل في الكلام، فدلالة الاسم على الثبوت والدوام، واستعمال الفعل علـى الحدوث والتجدّد. فكيف اختلف القرّاء في قراءتهم بين الاسـم والفعل، وأين ذهب إعجاز القرآن وبلاغته عند ذلك؟

وقوله تعالى:) والبحر يمدّه من بعده سبعة أبحر ([سورة لقمان: ٢٧]، إذ (قرأ جعفر بن محمد u (والبحر مداده)) (الطبرسـيّ، ١٤٢٦ ه، ٨ – ١٣٦). ويُلحظ أنّ الزمخشـريّ رأى أنّ قراءة (مداده) هي ما يقتضيها الكلام، فقال: (فإنْ قلت: كان مقتضى الكلام أن يُقال: ولو أنّ الشجر أقلام، والبحر مداد. قلت: أغنى عن ذكر المداد قوله يمدّه) (الزمخشريّ، ٢٠٠٩ م، ٣ – ٤٨٥).

وقوله تعالى:) أولم يروا أنّ الله الذي خلق السـموات والأرض ولم يعي بخلقهنّ بقادرٍ على أن يحيي الموتى ([سورة الأحقاف: ٣٣]، إذ (قرأ يعقوب (يقدر على أن يحيي) بالياء المفتوحة مع إسكان القـاف، ورفـع الراء من غير ألف. جعله فعلاً مضارعاً. وقرأ الباقون (بقادرٍ) بالباء المكسـورة، وفتح القاف، وبعدها ألف مع جرّ الراء وتنوينها) (ابن غلبون، ٢٠٠١ م، ٤٧٢).

وقوله تعالى:) فكُّ رقبة أو إطعامٌ في يومٍ ذي مسـغبة ([سـورة البلد: ١٤]، إذ (قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائيّ (فكَّ رقبةً أو أطعمَ) ... وقرأ ابن عامر ونافع وعاصم وحمزة (فكُّ رقبةٍ) إضافة (أو إطعامٌ) رفعاً) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٦٨٦).

اختلاف القراءة بين فكّ الإدغام والتشديد:

اختلـف القـرّاء في بعض الأفعال المشـدّدة الحرف الأخير، فقرأه بعضهم مدغماً، وقرأ آخرون بفـكّ الإدغـام، من ذلـك قوله تعالى:) يا أيّها الذين آمنوا مَن يرتدَّ منكم ([سـورة المائدة: ٥٤]، إذ قرأ (ابـن كثير وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسـائيّ (مَن يرتدَّ منكم) بـدالٍ واحدة نصباً. وقرأ نافع وابن عامـر (مَـن يرتدد منكم عن دينه) بداليـن) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٢٤٥). إنّ الـذي يلفت النظر أنّهم لم يختلفوا في قراءة الفعل نفسـه من قوله تعالى:) مَن يرتدد منكم عن دينه ([سـورة البقرة: ٢١٧]، فهـم (لـم يختلفوا في الذي في البقرة أنّه بدالين) (ابن غلبون، ٢٠٠١ م، ٢٤٧). فما الموجّه لهم في هذا التباين في القراءة؟ وهل كان للرسـم القرآنيّ أثرٌ في ذلك؟. يُعلّل ابن الجزريّ ذلك بقوله: (كذا هو في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقون بدال واحدة مفتوحة مشدّدة، وكذا هو في مصاحفهم. واتفقوا علـى حرف البقـرة وهو (ومَن يرتدد منكم) أنّه بدالين لإجماع المصاحف عليه كذلك؛ لأنّ طول البقرة

يقتضي الإطناب وزيادة الحرف من ذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى:) ومَن يشاقق الله ورسوله (في الأنفال كيف أجمع على فكِّ إدغامه، وقوله (ومَن يشاقّ الله) في الحشر كيف أجمع على إدغامه؛ وذلك لتقارب المقامين من الإطناب والإيجاز) (الجزريّ، د. ت، ٢ – ٢٥٥). ولعلّ لنا أن نتساءل: هل نظر القرّاء إلى طول السورة، فأدغموا مع القصيرة، وفكّوا الإدغام مع الطويلة؟. وإذا كان الأمر كذلك، فلِمَ اختلفوا في قراءة آية المائدة بين الفكّ والإدغام اعتماداً على هذه القاعدة التي ذكرها ابن الجزريّ؟. ثمّ أما كان لهذه القاعدة أن تكون على العكس من ذلك، فتدغم في السورة الطويلة، وتفكّ الإدغام في القصيرة؛ تسهيلاً على القارئ، وتوفيراً في الجهد. ويوجّه أبو عليّ الفارسيّ قراءة الإدغام توجيهاً صوتياً، فقال: (وحجّة مَن أدغم أنّه أسكن الحرف الأوّل من المثلين ليدغمه في الثاني، وكان الثاني ساكناً، وقد أسكن الأوّل للإدغام، حرّك المدغم فيه؛ لالتقاء الساكنين على اختلاف في التحريك، وهذه لغة تميم) (الفارسيّ، ٢٠٠٧ م، ٢ – ٤١٩). ثمّ وجّه قراءة الإظهار كذلك، فقال: (حجة من أظهرهما ولم يدغم أنّ الحرف المدغم لا يكون إلاّ ساكناً، ولا يمكن الإدغام في الحرف الذي يدغم حتى يسكن؛ لأنّ اللسان يرتفع عن المدغم فيها ارتفاعة واحدة، فإذا لم يسكن لم يرتفع اللسان ارتفاعة واحدة، فإذا لم يرتفع كذلك لو يمكن الإدغام، فإذا كان كذلك لم يسغ الإدغام في الساكن؛ لأنّ المدغم إذا كان ساكناً – والمدغم فيه كذلك – التقى ساكنان، والتقاء الساكنين في الوصل في هذا النحو ليس من كلامهم، فأظهر الحرف الأول وحرّكه، وأسكن الحرف الثاني في المثلين – وهذه لغة الحجاز – فلم يلتقِ الساكنان) (الفارسيّ، ٢٠٠٧ م، ٢ – ٤١٩).

اختلاف علامة الإعراب:

اختلف القرّاء في الحركة الإعرابيّة لبعض الألفاظ القرآنيّة. والذي يهمّنا هنا الحركات الإعرابيّة التي تؤثّر في الرسم القرآنيّ للمفردات. أمّا الحركات التي لا تؤثّر في الرسم، فليست من مجال هذا البحث. فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى:)ما فعلوه إلاّ قليلٌ منهم([سورة النساء: ٦٦]، فـ (كلّهم قرأ (ما فعلوه إلاّ قليلٌ منهم) رفعاً إلاّ ابن عامر، فإنّه قرأ (ما فعلوه إلاّ قليلاً منهم) نصباً، وكذلك هي في مصاحفهم) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٢٣٥). وعلى الرغم من أنّ الوجهين صحيحان، إذ إنّ (الوجه في قولهم: ما أتاني أحد إلاّ زيدٌ، الرفع، وهو الأكثر الأشيع في الاستعمال والأقيس. فقوته من جهة القياس أنّ معنى: ما أتاني أحد إلاّ زيد، وما أتاني إلاّ زيد واحد، فكما اتفقوا على: ما أتاني إلاّ زيد، على الرفع، وكان: ما أتاني أحد إلاّ زيد بمنزلته ومعناه، اختاروا الرفع مع ذكر أحد... وأمّا مَن نصب، فقال: ما جاءني أحد إلاّ زيداً، فإنّه جعل النفي بمنزلة الإيجاب، وذلك أنّ قوله: ما جاءني أحدٌ، كلام تامّ، كما أنّ: جاءني القوم، كذلك، فنصب مع النفي كما نصب مع الإيجاب من حيث اجتمعا في أنّ كلّ واحد منهما كلام تامّ) (الفارسيّ، ٢٠٠٧ م، ٢ – ٣٧١ – ٣٧٢)، وكان (الرفع على البدل من الواو في (فعلوه)، وتقديره: ما فعله إلاّ قليلٌ منهم. والنصب على الأصل في الاستثناء، والأصل في الاستثناء النصب. والرفع على البدل أوجه الوجهين) (الأنباريّ، ٢٠٠٦ م، ١ – ٢٥٨)، فإنّ هذا الاختلاف في الإعراب يوجب اختلافاً في الرسم القرآنيّ.

ومثله قوله تعالى:)التائبون العابدون... وبشّـر المؤمنين ([سـورة التوبة: ١١٢]، إذ نقل الشيخ الطوسـيّ (الطوسـيّ، ٢٠١٠ م، ٥ – ٢٧٧) قراءة أبي (التائبون) إلى آخر الآية بالياء نصباً على أنّه صفة للمؤمنين المتقدّمة في قوله تعالى:) إنّ الله اشـترى من المؤمنين أنفسهم ([سورة التوبة: ١١١]. وذهب الزمخشـريّ إلى هذا الرأي قائلاً: (يعني المؤمنيـن المذكورين، ويدلّ عليه قراءة عبد الله وأبي رضـي الله عنهما (التائبيـن) بالياء إلى (والحافظيـن) نصباً على المدح، ويجـوز أن يكون جرّاً صفة للمؤمنين) (الزمخشريّ، ٢٠٠٩ م، ٢ – ٣٠٣).

ومثله قوله تعالى:)قالوا إنْ هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم ([سورة طه: ٦٣]، إذ قرأ أبو عمرو بن العلاء وحده (هذين) بالياء. أمّا الباقون، فقرأوا (هذان) بالألف (ينظر: ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٤١٩). وعلى الرغم من أنّ أبا عمرو وحده قد قرأ بالياء، إلاّ أنَّ قراءته جاءت موافقة لقواعد العربيّة. أمّا مَن قرأ بالألف، فقد حاول علماء العربيّة توجيه قراءتهم على لغات بعض العرب، كالذي يُلحظ عند أبـي البركات بـن الأنباريّ، الذي قال: (مَن قرأ بالألف، أتي به على لغـة بني الحرث بن كعب، فإنّهم يقولـون: مـررتُ برجلان، وقبض منه درهمان... وقيل: (إنَّ) بمعنـى: نعم ... وتقدير الآية: نعم هذان لسـاحران ... وقيـل: إنّ الهاء مضمرة مع (إنّ) كما تقول: إنّه زيدٌ ذاهـبٌ، وفيه أيضاً ضعف ... ومَن قـرأ (إنْ) بالتخفيـف كان فيه وجهان: أحدهما: أن تكون (إنْ) مخففـة من الثقيلة، ولم يعملها؛ لأنّها إنّما عملت لشبه الفعل، فلمّا حذف منها النون، وخففت ضعف وجه الشبه، فلم تعمل. والثاني: أن تكون (إنْ) بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلاّ)، وتقديره: ما هذان إلاّ سـاحران، وهذان الوجهان يخرجان على مذهب الكوفيين) (الأنباريّ، ٢٠٠٦ م، ٢ – ١٤٤ – ١٤٦).

ومنه – أيضاً – قوله تعالى:) يُحلّون فيها من أسـاور من ذهبٍ ولؤلؤاً ([سـورة الحج: ٢٣]، إذ (قرأ ابن كثير (ولؤلوٍ)، وفي الملائكة [سورة فاطر: ٣٣] كذلك، وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وحمزة والكسـائيّ. وقرأ نافع وعاصم في رواية أبي بكر ههنا وفي سورة الملائكة (ولؤلؤاً) بالنصب) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٤٣٥). والذي يُلحظ أنّ قراءة (لؤلؤٍ) بالجرّ لا تحتاج إلى تخريج، إذ إنّ المعنى: (يحلّـون أسـاور من ذهبٍ ومـن لؤلؤٍ، أي: منهما، وهذا هـو الوجه) (الفارسـيّ، ٢٠٠٧ م، ٤ – ٤)، والقـراءة التـي تحتاج إلى التخريج هي قراءة النصب؛ ولذا فقد وجّه أبو عليّ الفارسـيّ القراءة بقوله: (ويحلّـون لؤلـؤاً، واللؤلؤ إذ انفرد من الذهب والفضة لا يكون حلية. فإن قلتَ، فقد قال:) وتسـتخرجوا منه حليةً تلبسونها ([سورة النحل: ١٤]، فهذا على أن يكون حلية إذا رُصّع في الذهب أو الفضة صار حليـةً) (الفارسـيّ، ٢٠٠٧ م، ٤ – ٤ -٥). أمّـا ابن الأنباريّ، فقد وجّه هـذه القراءة، فقال: (والنصب مـن وجهيـن: أحدهما: أن يكون منصوبـاً بتقدير فعلٍ، وتقديره: ويُعطون لؤلـؤاً؛ لدلالة (يُحلّون) عليه فـي أول الـكلام ... والثاني بالعطف على موضع الجارّ والجرور من قوله (من أسـاور) كما يجوز أن يُقـال: مـررتُ بزيدٍ وعمراً) (الأنبـاريّ، ٢٠٠٦ م، ٢ – ١٧٢). ورأى العكبـريّ أنّ (لؤلؤاً) معطوفة على (أسـاور) لا (ذهب)؛ لأنّ السـوار لا يكون من لؤلؤٍ في العادة، ويصحّ أن يكون حليّاً) (العكبريّ، ١٣٧٩ ه ش، ٢ – ١٤٢).

ومثله قوله تعالى:) تبارك اسم ربّك ذي الجلال والإكرام ([سورة الرحمن: ٧٨]، إذ قرأ (ابن

عامر وحده (ذو الجلال) بالواو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام. وقرأ الباقون (ذي الجلال) بالياء، وكذلك هي في مصاحف أهل الحجاز والعراق) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٦٢١). وقد وجّه بعض علماء العربيّة هذا الاختلاف في القراءة من الناحية النحوية، بقوله: (يقرأ (ذو الجلال) بالرفع والجرّ. فالرفع على أنّه وصف (للاسم)، والجرّ على أنّه وصف (لربّك)) (الأنباريّ، ٢٠٠٦ م، ٢ – ٤١٢). ورجّح العكبريّ قراءة الجرّ معلّلاً ذلك، بقوله: (ذي الجلال نعتٌ لربّك، وهو أقوى من الرفع؛ لأنّ الاسم لا يوصف) (العكبريّ، ١٣٧٩ ه ش، ٢ – ٢٥٣). ولم يرد لفظ (اسم) في القرآن الكريم موصوفاً، ولكنّ جمعه وهو (أسماء) قد ورد موصوفاً، نحو قوله تعالى:) ولله الأسماء الحسنى ([سورة الأعراف: ١٨٠]، وقوله تعالى:) فله الأسماء الحسنى ([سورة الإسراء: ١١٠]، وغيرها.

اختلاف بالحذف والزيادة في القراءة:

اختلفت بعض القراءات بحذف بعض الألفاظ، أو الحروف من القراءة، أو زيادتها، وهذا الحذف أو الزيادة يتعارض مع شرط موافقة القراءة للرسم القرآنيّ، فما سبب ذلك الحذف، أو تلك الزيادة، وسيلحظ أنّ بعض علماء القراءات، وكذلك بعض المفسّرين يُصرّحون بالقول: إنّ ذلك موجود في المصاحف، فهل كانت المصاحف سبباً فيها؟ وقد عرفنا سابقاً أنّ القراءة متواترة تعتمد المشافهة والرواية، وليس الرسم، فلماذا وقع ذلك الاختلاف؟. ومن صور هذا الاختلاف ما يأتي:

حذف ضمير الفصل:

حذف بعض القرّاء ضمير الفصل، وهو ضمير منفصل، أي كلمة مستقلّة في الكلام من بعض الآيات القرآنيّة الكريمة، وذلك في قوله تعالى:) ومَن يتولَّ فإنّ الله هو الغنيُّ الحميد ([سورة الحديد:٢٤]، فقد (قرأ نافع وابن عامر (فإنّ الله الغنيُّ الحميد) ليس فيها (هو)، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقون (هو الغنيُّ الحميد)، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والعراق) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٦٢٧). ويُلحظ أنّ أبا عليّ الفارسيّ، يُخرّج هذا الحذف، بقوله: (ينبغي أن يكون (هو) في قول مَن قال (هو الغني الحميد) فصلاً، ولا يكون مبتدأ؛ لأنّ الفصل حذفه أسهل. ألا ترى أنّه لا موضع للفصل من الإعراب، وقد يُحذف فلا يُخلّ بالمعنى) (الفارسيّ، ٢٠٠٧ م، ٤ – ٤٢٥). والغريب أنّ الزركشيّ ينقل أنّ الاختلاف بالزيادة والنقص في الحروف والكلم (ممّا اختلف فيه المصاحف التي وجّه بها عثمان إلى الأمصار، فيقرأ به إذ لم يُخرجه عن خط المصحف، ولا يقرأ منه ما لم تختلف فيه المصاحف، لا يُزاد شيءٌ لم يُزد فيها، ولا يُنقص شيءٌ لم يُنقص منها) (الزركشيّ، ٢٠٠٦ م، ١ – ٢٣٦). فالمعروف أنّ توحيد عثمان للمصاحف كان الغرض منه منع الاختلافات بين القرّاء، وإذا بالمصحف العثمانيّ يجعل الاختلاف محرّراً بالرسم القرآنيّ بعد أن كان في الملفوظ الشفويّ فقط. ثمّ كيف يكون في المصحف زيادة أو نقص، ويقول بعدها (إذ لم يُخرجه عن خط المصحف)، أوليست الزيادة والنقص في خط المصحف؟!

حذف (واو) في بداية آية كريمة أو وسطها، أو زيادتها:

حذف بعض القرّاء حرف (الواو) من بداية بعض الآيات القرآنيّة الكريمة، وقرأها الباقون

بالـواو، ونقل بعض المفسّـرين أنّ حذف حرف الوا، وإثباته موجود فـي مصاحف القرّاء، ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى:)وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ([سورة البقرة: ١١٦]، فقد (قرأ ابن عامر وحده (قالوا اتخذ الله ولداً) بغير واو، وكذلك في مصاحف الشام. والباقون بالواو، وكذلك في مصاحف أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ١٦٩). ويُسوّغ أبو عليّ الفارسيّ هذا الحذف، بقوله: (حذف الواو في ذلك يجوز من وجهين: أحدهما: أنّ الجملة التي هي (قالوا اتخذ الله ولداً) ملابسـة بما قبلها من قوله:)ومَن أظلم ممّن منع مسـاجد الله أن يذكر فيها اسـمه وسعى في خرابها([سورة البقرة: ١١٤]. ومَن منع مسـاجد الله أن يذكر فيها اسـمه: جميع المتظاهرين على الإسلام من صفوف الكفار؛ لأنّهم – بقتالهم المسلمين وإرادتهم غلبتهم والظهور عليهم – ما نعون لهم من مواضع متعبداتهم ... وإذا كان التأويل على هذا، فالذين قالوا: اتخذوا الله من جملة هؤلاء الذين تقدم ذكرهم، فيُسـتغنى عن الواو لالتباس الجملة بما قبلها ... والوجه الآخر: أن تسـتأنف الجملة، فلا تعطفها على ما تقدّم) (الفارسـيّ، ٢٠٠٧ م، ٢ – ٤٥ – ٤٦).

ومثلـه قولـه تعالـى:) وسـارعوا إلى مغفرةٍ من ربّكم ([سـورة آل عمـران: ١٣٣]، إذ (قرأ أهل المدينة والشـام (سـارعوا) بغير واو، وهو كذلك في مصاحفهم، والباقـون بالواو، وكذلك هو في مصاحف مكة والعراق) (الطبرسـيّ، ١٤٢٦ه، ٢ – ٥٨٢ – ٥٨٣). ورأى أبو عليّ الفارسـيّ أنّ (كلا الأمرين سـائغ مسـتقيم، فمَن قرأ بالـواو؛ فلأنّه عطف الجملة على الجملـة، والمعطوف عليها قوله:) وأطيعوا الله ورسـوله([سـورة آل عمران: ١٣٢] (وسـارعوا). ومَن ترك الواو؛ فلأنّ الجملة الثانية ملتبسـة بالأولى مستغنية بالتباسـها بها عن عطفها بالواو) (الفارسيّ، ٢٠٠٧ م، ٢ – ٣٠٣). ومثله – أيضاً – قوله تعالى:)ويقول الذين آمنوا([سـورة المائدة: ٥٣]، وقوله تعالى:)والذين اتخذوا مسـجداً ضـراراً وكفراً ([سـورة التوبة: ١٠٧]، وقوله تعالى:) وقال موسـى ربّي أعلـم بمَن جاء بالهدى ([سـورة القصص: ٣٧]. إذ قرأ بعض القرّاء الآيتين بحذف الواو من بداية الآية الكريمة كما أشـار إلى ذلك علماء القراءات (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٢٤٥، ٣١٨، ٤٩٤)، والمفسّرون (الطبرسيّ، ١٤٢٦ ه، ٣- ٥٠٥، ٥ – ١٧٢، ٧ – ٦٦١).

وقد حذف بعض القرّاء (الواو) من وسـط الآية الكريمة، كقوله تعالى:) وقالوا الحمد لله الذي هدانـا لهـذا وما كنّا لنهتدي ([سـورة الأعـراف: ٤٣]، إذ (قرأ ابن عامر (ما كنّـا لنهتدي) بغير واو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، والباقون مع الواو) (الطبرسيّ، ١٤٢٦ ه، ٤ – ٣٦٥). وعلّل أبو عليّ الفارسـيّ ذلك، بقوله: (وجه الاسـتغناء عن حرف العطف في قوله (ومـا كنّا لنهتدي) أنّ الجملة ملتبسـة بما قبلها، فأغنى التباسـها به عن حرف العطف) (الفارسـيّ، ٢٠٠٧ م، ٣ – ١٧). ومثله قوله تعالى:) أولم يرَ الذين كفروا أنّ السمواتِ والأرض ([سورة الأنبياء: ٣٠]، إذ قرأ ابن كثير فقط (ألم يـرَ)، وقـرأ الباقون بإثبات الواو كما أشـار إلى ذلك علماء القراءات (ابـن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٤٢٨)، والمفسّرون (ينظر: الطبرسيّ، ١٤٢٦ ه، ٧ – ١١٩).

وقد نجد الأمر على العكس من ذلك، فتزاد الواو في قراءة بعض القرّاء من دون غيرهم، كقوله تعالـى:) قال الملأ الذين اسـتكبروا ([سـورة الأعراف: ٧٥]، إذ (قرأ ابن عامـر... (وقال الملأ الذين

اسـتكبروا) بإثبات الواو، وكذلك هي في مصاحفهم. وقرأ الباقون (قال الملأ) بغير واو) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٢٨٤).

حذف الفاء الواقعة في جواب الشرط:

حذف بعض القرّاء الفاء الواقعة في جواب الشـرط، وذلك في قوله تعالى:) وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسـبت أيديكم ([سـورة الشـورى: ٣٠]، إذ (قرأ نافع وابن عامر (من مصيبةٍ بما كسبت أيديكم) بغير فاء، وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقون (فبما) بالفاء) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٥٨١). ويوجّـه أبـو عليّ هذا الاختلاف، بقوله: (القـول في ذلك أنّ (أصاب) من قوله (وما أصاب من مصيبةٍ) يحتمل أمرين: يجوز أن يكون صلة (ما). ويجوز أن يكون شرطاً في موضع جزم. فمَـن قدّره شـرطاً، لم يُجزْ حذف الفاء منـه ... وإذا كان صلة، فالإثبات والحذف جائزان على معنيين مختلفيـن. أمّـا إذا أثبت الفاء، ففي إثباتها دليل على أنّ الأمر الثاني وجب بالأول ... فإذا لم يذكر الفاء، جاز أن يكون الثاني وجب للأول، وجاز أن يكون لغيره) (الفارسـيّ، ٢٠٠٧ م، ٤ – ٢٩٢ – ٢٩٣). فالـذي يلحظ أنّ القرّاء قد اختلفوا في قراءة الآية الكريمة، بالحذف أو بالزيادة، فأحد الفريقين قد خالف الرسم القرآنيّ، وهذه المخالفة ستؤدي إلى الاختلاف في المعنى، فالفرق كبير بين أن يكون الكلام على المعنى الشـرط، الذي يحتمل عدم حصول الفعل، وبين الإخبار الذي يدلّ الماضي، قال الزمخشـريّ: (في مصاحف أهل العراق (فبما كسـبت) بإثبات الفاء على تضمين (ما) معنى الشـرط. وفي مصاحف أهل المدينة (بما كسـبت) بغير فاء على أنّ (ما) مبتدأة، و(بما كسـبت) خبرها من غير تضمين معنى الشرط) (الزمخشريّ، ٢٠٠٩ م، ٤ – ٢١٩). ولعلّ من الغريب أنّ يكون المعنى واحداً مع الفاء، ومن دونها، وهذا ما ذهب إليه أبو حيّان، إذ قال: (وترتبُ ما أصاب من المصائب على كسب الأيدي موجود مع الفاء، ودونها هنا) (الأندلسيّ، ٢٠٠٥ م، ٩ – ٣٣٨).

حذف لام التوكيد في أول الآية الكريمة:

وذلـك فـي قوله تعالى:) وللدار الآخرة خيرٌ للذين يتقون ([سـورة الأنعام: ٣٢]، فـ (كلّهم قرأ (وللـدار الآخـرة) بلامين ورفع الآخرة، غير ابن عامر، فإنّه قـرأ (ولدار الآخرة) بلام واحدة وخفض الآخرة) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٢٥٦). ونسـب الزمخشـريّ (الزمخشـريّ، ٢٠٠٩ م، ٢- ١٦) هذه القـراءة إلـى ابن عباس. إنّ القراءة بـ (لامين) (جعلت الدار ها هنا اسـماً، وجُعلت الآخرة من صفتها، وأضيفـت فـي غير هذا الموضع) (الفـرّاء، ٢٠٠٢ م، ١ – ٢٢٥). ووجّه أبو حيّان قراءة ابن عامر بـ (لام واحـدة) أنّهـا من باب إضافة الموصوف إلى صفته، ونسـب إلى البصريين أنّ هذا من باب حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، بمعنى: ولدار الحياة الآخرة، وسوّغ هذا الرأي بتقدّم ما يقابله، وهو قوله (الحياة الدنيا) (الأندلسيّ، ٢٠٠٥ م، ٤ – ٤٨٥). إنّ الرجوع إلى الاستعمال القرآنيّ لكلمة (دار) يدلّنـا على أنّ هذه المفردة قد اسـتعملت (الدار) بالتعريف بـــ (ال)، و(دار) مضافة إلى معرّف بـ (ال) للدلالـة علـى الحياة الآخرة إلاّ في موضع واحـد أراد به الحياة الدنيا، وذلك فـي قوله تعالى:)والذين

تبـوّؤوا الـدار والإيمان من قبلهم يحبون مَن هاجر إليهم([سـورة الحشـر: ٩]. وعنـد محاولة توجيه القـراءة نصّيّـاً، يلحظ أنّ القراءة بالتعريف (وللدار) هي الأقرب إلى المعنى؛ لأنّها تقابل (الحياة الدنيا) المتقدّمة من دون الحاجة إلى تقدير المحذوف.

حذف حرف الجرّ أو زيادته:

حُذف حرف الجرّ في قراءات بعض القرّاء، أو زيد، وهذا الحذف أو الزيادة لا مسـوّغ له من الرسـم القرآني، إلاّ أنّه يؤثّر في معنى الآية الكريمة، من ذلك ما ورد في قراءة قوله تعالى:)يسـألونك عن الأنفال([سـورة الأنفال: ١]، فقد (قرأ ابن مسـعود، وسـعد بن أبي وقّاص، وعليّ بن الحسـين، وأبـو جعفـر محمد بن عليّ الباقر، وزيد بن علي u، وجعفر بن محمد الصادق u، وطلحة بن مصرف (يسـألونك الأنفـال)) (الطبرسـيّ، ١٤٢٦ ه، ٤ – ٦٠١). ولا يخفى اختلاف معنـى الآية الكريمة بين وجود حرف الجرّ (عن)، وحذفها. فالقراءة بوجود حرف الجرّ (عن) بمعنى: من هم مستحقّو الأنفال؟. أمّا القراءة مع حذف حرف الجرّ، فبمعنى: طلب حصتهم من الأنفال، ورأى ابن جنّي أنّهم سألوا عنها تعرّضاً لطلبها، فقال: (هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأخرى التي هي (عن الأنفال)، وذلـك أنّهم سـألوه عنها تعرضاً لطلبها واسـتعلاماً لحالها، هل يسـوغ طلبها؟ وهـذه القراءة بالنصب إصـراح بالتماس الأنفال، وبيان الغرض في السـؤال عنها) (ابن جنّـي، ١٩٩٨ م، ١ –٢٧٢). ويبدو أنّ القـراءة (بحـذف حرف الجـرّ) هي الأقرب للمعنى المطلوب، يدلّنا على ذلـك الكلام التالي في هذه الآية، فقال – عزّ وجلّ-:)يسـألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسـول فاتّقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسـوله إن كنتم مؤمنين([سـورة الأنفال: ١]. ولعلّه يتبيّن أكثر إذا علمنا أنّ (اللام) في قوله (لله) هي لام التملك أو للاختصاص، قال ابن عاشور: (واللام في قوله (لله) على القول الأول في معنـى الأنفال: لام التملـك ... وأمّا على القول الثاني الجامع لجميـع المغانم، فاللام للاختصاص، أي: الأنفال تختص بالله والرسول، أي حكمها وصرفها) (ابن عاشور، ٢٠٠٠ م، ٩ – ١١). فالذي يبدو أنّ المعنـى المطلـوب (على قراءة حذف حرف الجرّ) هو: نطلبُ حصصنا من الأنفال، فكان الردّ: أنّها لله والرسـول، وليست لكم، ولعلّ لنا أن نتسـاءل ما المقصود بـ (يسألونك عن الأنفال) إذا لم يكن قصدهم أن تكون لهم حصّة منها؟

ووردت بعض القراءات التي زادت حرف في الآية الكريمة، من ذلك ما ورد في قوله تعالى:) وأعدّ لهم جنّاتٍ تجري تحتها الأنهار([سـورة التوبة: ١٠٠]، فـ (كلّهم قرأ... (تجري تحتها الأنهار)، غيـر أنّ ابن كثير، وأهل مكّة، فإنّهم قـرأوا (تجري من تحتها) بزيادة (من)، وكذلك هي في مصاحف أهل مكّة خاصّة) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٣١٧).

ومثله قوله تعالى:) جاؤوا بالبيّنات والزبر والكتاب المنير([سورة آل عمران: ١٨٤]، إذ (قرأ ابن عامر وحده (بالبيّنات وبالزبر) بالباء، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام. وقرأ الباقون (والزبر) بغير باء) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٢٢١). ونسب ابن غلبون (ابن غلبون، ٢٠٠١ م، ٢٣٠) زيادة الباء إلى هشام، ونقل أنّ الزيادة هي في قوله (بالزبر وبالكتاب)، والزيادة عند ابن ذكوان في قوله (بالزبر)، ولم يُشر إلى أنّ ابن عامر قد قرأ بزيادة الباء. ورأى أبو عليّ الفارسيّ أنّ (وجه قراءة مَن قرأ (بالبيّنات

والزبـر) أنّ الـواو قد أغنت عـن تكرير العامل. ألا ترى أنّك إذا قلت: مررتُ بزيدٍ وعمرو، أشـركت الواو (عمراً) في الباء، فأنت عن تكريرك الباء مستغنٍ ... ووجه قول ابن عامر: أنّ إعادة الباء، وإن كانت مستغنًى عنها، فإنّه لضرب من التأكيد، ولو لم يكرّر لاستغنى بإشراك حرف العطف) (الفارسيّ، ٢٠٠٧ م، ٢ – ٣٣٠).

ومـن ذلـك قوله تعالى:) فليس عليهنّ جناحٌ أن يضعن ثيابهنَّ غير متبرجات ([سـورة النور: ٦٠]، فقد نقل الطبرسـيّ أنّه (قرأ أبو جعفر، وأبو عبد الله عليهما السـلام (يضعن من ثيابهنّ)، وروي ذلـك عن ابن عباس وسـعيد بن جبير) (الطبرسـيّ، ١٤٢٦ ه، ٧ – ٤٠٨). ويبـدو أنّ هذه القراءة هي الأقرب للمعنى المطلوب، إذ دلّت (من) على التبعيض؛ ولذا يُلحظ أنّ بعض المفسّرين قد فسّر (المراد بالثياب: الثياب الظاهرة كالملحفة، والجلباب الذي فوق الخمار) (الزمخشريّ، ٢٠٠٩ م، ٣ -٢٤٨).

ولعـلّ مـن بـاب الزيادة – أيضاً – ما جاء في قراءة قولـه تعالى:) لا تتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفّار أولياء ([سـورة المائدة: ٥٧]، إذ اختلف القرّاء (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٢٤٥) في الحركة الإعرابيّة لقوله (الكفّار). ورأى الزمخشريّ أنّ قراءة الجرّ هي الأقرب؛ لأنّـه (تعضـد قراءة الجرّ قراءة أُبـيّ: ومن الكفّار) (الزمخشـريّ، ٢٠٠٩ م، ١ – ٢٣٧). فدلّ بزيادة حرف الجرّ في القراءة على أنّ (الكفّار) معطوفة على (الذين أوتوا الكتاب) لا على قوله (الذين اتخذوا دينكم).

حذف لام الفعل:

علـى الرغـم مـن أنّ كتب القراءات قـد تناولت حذف الياء بالبحث، وأفـرد بعضهم له مباحث خاصّة، إلاّ أنّ ذلك لا ينفي تناول هذه المسـألة بالبحث، إذ إنّ الأمر يتعلّق بالتوافق بين القراءة والرسـم القرآنيّ، وهو ما يلزم بمعرفة السـبب أو التوجيه لذلك الحذف، فضلاً عن ذلك، فإنّ صور الحذف كان على غير ما طرحه علماء القراءات. من ذلك ما جاء في قوله تعالى:) قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوماً بما كانوا يكسـبون ([سـورة الجاثية: ١٥]، إذ نقل ابن الجزري حذف ياء الفعـل (يجزي) ببناء الفعل للمجهول ليصبح (لِيُجزَ)، وقد نسـب هذه القـراءة لعاصم، فقال: (وقرأ أبو جعفر بضمّ الياء وفتح الزاي مجهلاً. وكذا قرأ شيبة، وجاءت أيضاً عن عاصم. وهذه القراءة حجة على إقامـة الجارّ والمجرور، وهو (بما) مع وجود المفعول به الصريح، وهو (قوماً) مقام الفاعل كما ذهب إليه الكوفيون وغيرهم) (الجزريّ، د. ت، ٢ – ٣٧٢).

أمّـا فـي قوله تعالى:) إن الحكم إلاّ لله يقصُّ الحقَّ ([سـورة الأنعـام: ٥٨]، فقد عدّ ابن مجاهد الاختلاف بين الصاد والضاد، فقال: (واختلفوا في الصاد والضاد من قوله (يقصّ الحقّ). فقرأ ابن كثير ونافـع وعاصم (يقصّ) بالصاد. وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن عامر والكسـائيّ (يقضِ الحقّ) بالضاد) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٢٥٩). فابن مجاهد لم يُشر إلى سبب حذف الياء من الفعل (يقضي). وقد حاول صاحب التذكرة أن يعلّل سـبب الحذف، فقال: (وقرأ الباقون (يقضِ) بالضاد، وهي مخففة مكسورة مع سـكون القاف. ولا خلاف بين هؤلاء أنّه بغير ياء في الوصل لسقوطها فيه لالتقاء الساكنين، وأنّه هكذا في المصحف. وأمّا الوقف، فأثبتها يعقوب على أصله، وحذفها فيه الباقون على أصولهم) (ابن غلبون،

٢٠٠١ م، ٢٥٥). فابن غلبون ينقل أنّهم قد حذفوا (الياء) لالتقاء الساكنين، والحذف إنّما يكون في اللفظ لا في الكتابة، هذا أولاً، وثانياً: هو ينقل أنّهم قد حذفوا هذه الياء في حال الوقف أيضاً، فما المسوّغ لهذا الحذف عند ذلك؟. ويستدلّ أبو عليّ الفارسيّ لكلا القراءتين، بقوله: (حجّة مَن قرأ (يقضِ) أنّهم زعموا أنّ في حرف ابن مسعود (يقضِ الحقّ) بالضاد، وذُكر عن أبي عمرو أنّه استدلّ على (يقضِ)، بقوله:)وهو خير الفاصلين([سورة الأنعام:٥٧]. قال: والفصل في القضاء ليس في القصص. ومن حجّتهم، قوله تعالى:)والله يقضي بالحقّ([سورة غافر: ٢٠]. وحجّة من قال (يقصّ الحقّ) قوله:)نحنُ نقصّ عليك أحسنَ القصص((سورة يوسف: ٣]، و)إنّ هذا لهو القصص الحقّ([سورة آل عمران: ٦٢ي. وأمّا ما احتجّ به مَن قرأ (يقضي) من قوله (وهو خير الفاصلين في الحكم لا في القول، فإنّهم قالوا: قد جاء الفصل في القول – أيضاً – في نحو قوله:)إنّه لقول فصل([سورة الطارق: ١٣]) (الفارسيّ، ٢٠٠٧ م، ٢ – ٤٨١ – ٤٨٢). ولم يُشر الفارسيّ إلى الفارق الإملائيّ بين (يقصّ)، و(يقضي)، فالفعل (يقضي) ليس في موضع جزم كي يحدث مثل هذا الالتباس، والاختلاف في القراءة؟!

وصورة أخرى من صور حذف الياء في القراءة، وذلك في قوله تعالى:)وإذ أنجيناكم من آل فرعون([سورة الأعراف: ١٤١]، فقد (قرأ ابن عامر وحده (وإذ أنجاكم) ليس قبل الألف نون، وقرأ الباقون (وإذ أنجيناكم)) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٢٩٣). وقد حاول ابن غلبون أن يسوّغ هذه القراءة، بقوله: (فعلى قراءة ابن عامر يكره أن يبتدأ بقوله (وإذ أنجاكم)؛ لأنّه متصل بقول موسى، ومتعلقٌ بما تقدّم من إخباره عن الله في قوله:) قل أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضّلكم على العالمين ([سورة الأعراف: ١٤٠]، فلا يقطع منه. وأمّا على قراءة الباقين، فإنّه يجوز الابتداء بهنَّ؛ لأنّ كلام موسى قد تمَّ دونه ثمّ استأنف الله تعالى الخبر عن نفسه بذلك بلفظ الجماعة للتعظيم) (ابن غلبون، ٢٠٠١ م، ٢٧٥). وقد تعجب ابن الجزريّ من عدم ذكر ابن مجاهد لهذا الاختلاف، فقال: (والعجب أنّ ابن مجاهد لم يذكر ذا الحرف في كتابه السبعة) (الجزريّ، د. ت، ٢ – ٢٧١). وقد تقدّم ذكر ابن مجاهد للاختلاف في هذه القراءة.

ومثله قوله تعالى:)إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما([سورة البقرة: ٢٦]، فقد ذكر الزمخشريّ أنّ قراءة (ابن كثير في رواية شبل (يستحي) بياء واحدة) (الزمخشريّ، ٢٠٠٩ م، ١ – ١١٨). وحاول الطبرسيّ أن يعلّل هذه القراءة، بقوله: (ووجه هذه القراءة أنّه استثقل اجتماع اليائين، فحذف إحداهما، وهي لغة تميم) (الطبرسيّ، ١٤٢٦ ه، ١ – ١٥٥). ولعلّ أبا عمرو أَولى بهذه القراءة من ابن كثير؛ لأنّه من بني تميم الذين نسب إليهم هذه اللغة

حذف حرف المضارع:

وهذه صورة أخرى من صور الزيادة لحرف الياء، قد قرأ بها بعض القرّاء، وفيها يتوجّب أن يكون هناك اختلاف في رسم الكلمة، وذلك في قوله تعالى:) ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون ([سورة الأعراف: ٣]، فقد (اختلفوا في تشديد الذال، وتخفيفها وزيادة ياء في قوله (قليلاً ما تذكّرون)، فقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر (قليلاً ما تذّكّرون) مشدّدة الذال

والكاف. وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص (قليلاً ما تذكّرون) خفيفة الذال مشدّدة الكاف. وقـرأ ابن عامـر (قليلاً ما يتذكّرون) بياء وتاء. وقد روي عنه بتاءين) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٢٧٨). ويوجّه أبو عليّ الفارسـيّ قراءة ابن عامر، بقوله: (وقول ابن عامر: (يتذكرون)بياء وتاء، وجهه: أنّه مخاطبة للنبيّ (صلّى الله عليه وسـلّم)، أي: قليلاً تذكّر هؤلاء الذين ذُكروا بهذا الخطاب) (الفارسـيّ، ٢٠٠٧ م، ٣ – ٤).

حذف نون المضارعة من الفعل أو زيادتها:

حذف بعض القرّاء نون المضارعة من بعض الأفعال في الآيات القرآنيّة الكريمة، من ذلك ما ورد فـي قوله تعالى:) وكذلك ننجي المؤمنين ([سـورة الأنبيـاء: ٨٨]، إذ (قرأ عاصم في رواية أبي بكر وحده (نُجِّي المؤمنين) بنون واحدة مشدّدة الجيم على ما لم يُسَّم فاعله والياء ساكنة. وروى حفص عن عاصم (نُنْجي المؤمنين) بنونين الأولى مضمومة، والثانية ساكنة، والجيم خفيفة، وكذلك قرأ حمزة والباقون ... وإنّما خفيت [النون]؛ لأنّها ساكنة تخرج من الخياشيم، فحذفت من الكتاب، وهي في اللفظ ثابتة) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٤٣٠). وقد أشار محقق (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٤٣٠، الهامش) (كتاب السـبعة فـي القراءات) في الهامش أنّه من الصعب توجيه قـراءة عاصم على رواية أبي بكر؛ لأنّه تلا الفعـل المبنيّ للمجهول كلمة (المؤمنين) في حالة النصب. وبذلك يمكن القول: إنّ هذه القراءة لم توافق العربيّة بوجه لتعدّ مقبولة. ومن الغريب فيما تقدّم من قول ابن مجاهد: (وإنّما خفيت لأنّها ساكنة، تخرج من الخياشـيم، فحذفـت من الكتاب، وهي في اللفظ ثابتة)، فهذا القول فيـه مفارقة، إذ كيف تكون خفيّة تخرج من الخياشـيم، وحذفها يكون في الكتاب، ثم يكون لفظها ثابتاً؟ أما كان الأجدر القول: إنّ الثبات فـي الكتابة لا في اللفظ. وقد نسـب علماء قراءات آخرون (ابن غلبـون، ٢٠٠١ م، ٣٦٨) هذه القراءة إلى ابن عامر أيضاً.

ويُلحـظ أنّ بعـض القرّاء قد زادوا نون المضارعة على صيغة الفعل، نحو قوله تعالى:) ويوم تشـقّقُ السماءُ بالغمام ونُزِّل الملائكةُ تنزيلاً ([سـورة الفرقان: ٢٥]، إذ (قرأ ابن كثير وحده (وننزّل) بنونين (الملائكةَ) نصباً. وقرأ الباقون (ونُزِّل) بنون واحدة مشدّدة الزاي لم يُسّمَ فاعله (الملائكةُ) رفعاً) (ابـن مجاهـد، ٢٠١٠ م، ٤٦٤). ويبدو أنّ قـراءة ابن كثير هي الأقرب للمعنـى؛ لأنّها معطوفة على الجملة المتقدّمة (ويوم تشـقق السماء)، ويدلّ الزمن فيها على المستقبل غير الواقع قريباً، فتكون قراءة (وننزّل) بالفعل المضارع هي الأنسب في الكلام.

حذف الضمير الهاء:

حذف بعض القرّاء الضمير (الهاء) المتصل ببعض الأفعال، من ذلك ما ورد في قوله تعالى:) وفيها ما تشتهيه الأنفس ([سورة الزخرف: ٧١]، إذ (قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم (تشتهيه) بهاء بعد الياء. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائيّ وعاصم في رواية أبي بكر (تشتهي) بغير هاء) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ٥٨٨ – ٥٨٩). ولعلّ ممّا يلحظ على قراءة حذف الضمير أنّ بناء الجملة سـيكون من باب (التنازع في العمل)، فالاسـم الموصول (ما) يطلبه شـبه الجملة (فيها)؛ ليكون مبتدأ

مؤخراً له، ويطلبه الفعل (تشـتهي)؛ ليكون مفعولاً به. ويرجّح أبو عليّ الفارسـيّ قراءة الحذف معتمداً في ذلك أنّه الأشـيع في القرآن الكريم، فقال: (حذف هذه الهاء من الصلة كإثباتها إلاّ أنّ الحذف يُرجّح علـى الإثبـات؛ لأنّ عامة هذا النحو في التنزيل جاء على الحذف. فمن ذلك قوله سـبحانه:) أهذا الذي بعث اللهُ رسولاً ([سورة الفرقان: ٤١]،)وسلام على عباده الذين اصطفى([سورة النمل: ٥٩]،)قال لا عاصم اليومَ من أمر الله إلاّ مَن رحم([سورة هود: ٤٣]) (الفارسيّ، ٤ – ٣١٩)

ومثله قوله تعالى:) ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم (] سورة يس: ٣٥]، إذ (قرأ ابن كثير ونافـع وأبو عمرو وحفص عـن عاصم (وما عملته) بالهاء. وقرأ عاصم فـي رواية أبي بكر، وحمزة والكسائي (وما عملت أيديهم) بغير هاء) (ابن مجاهد، ٢٠١٠، ٥٤٠).

ولعـلّ ممّـا يمكـن عدّه من هذا البـاب، حذفهم الهاء، وحرف من أصل الكلمـة، وذلك في قوله تعالى:)فانظر إلى طعامك وشـراب لم يتسـنّه(] سورة البقرة: ٢٥٩]، فقد (اختلفوا في إثبات الهاء من قولـه (لم يتسـنّه) ...فقرأ ابن كثير وعاصم وأبو عمرو وابـن عامر هذه الحروف كلّها بإثبات الهاء في الوصل، وكان حمزة يحذفهن في الوصل. وكان الكسـائيّ يحذف الهاء في الوصل من قوله (لم يتسـنّه) ... وكلّهم يقف على الهاء) (ابن مجاهد، ٢٠١٠ م، ١٨٨ – ١٨٩). فالهاء في الفعل أصليّة على بعض الآراء، جاء في لسان العرب: (سَنِهَ الطعام والشراب سنهاً وتسنّه: تغيّر، وعليه وجّه بعضهم قوله تعالى [الآية]... ومن جعل السنة واواً قرأ: لم يتسنَّ، وقال: سانيته مساناة، وإثبات الهاء أصوب) (ابن منظور، ٢٠٠٥ م، ٢ -١٩١٩ – ١٩٢٠). وذهب الفرّاء إلى مثل ذلك، فقال: (وقوله (لم يتسنّه) جاء في التفسير: لم يتغيّر بمرور السـنين عليه، مأخوذ من السـنة، وتكون الهاء من أصله من قولك: بعته مسانهة، تثبت وصلاً ووقفاً. ومن وصله بغير هاء جعله من المساناة؛ لأنّ لام سنة تعتقب عليها الهاء والواو، وتكون زائداً صلةً... ونرى أنّ معناه من السـنة، أي تغيّره السـنون... والسـنهاء: النخلة القديمة، فهذه قوة لمَن أظهر الهاء إذا وصل) (الفراء، ٢٠٠٢ م، ١ – ١٢٥).

القراءة باللفظ المرادف للمعنى:

قرأ بعض القرّاء الآيات القرآنيّة الكريمة، واسـتعملوا ألفاظاً مرادفة لمعنى المفردة المقروءة، من ذلك ما جاء في قوله تعالى:) فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام (] سورة البقرة: ١٤٤]، إذ قرأ (أُبي (تلقاء المسـجد الحرام) ... و(شـطر المسجد) نصب على الظرف، أي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد أي فـي جهتـه وسـمته) (الزمخشـريّ، ٢٠٠٩ م، ١ – ٢٠١). وقد أحصى بعـض المحدثين مواضع ورود المفردتين في النص الكريم – فوجد أنّ المفردة (شـطر) وردت في خمسـة مواضع (الراجحيّ، ١٩٩٩ م، ٢٣١). فـي حين أنّ المفـردة (تلقاء) وردت في ثلاثة مواضع (ينظر: الراجحيّ، ١٩٩٩ م، ٢٣١)، وحـاول تحديـد الفارق الدلاليّ بينهما، فقال: (ويبدو لنا من هذه الاسـتعمالات القرآنية أنّ لفظة (شـطر) أخصّ من تلقاء، إذ من الواضح أنّ الأولى مسـتعملة في المواضع كلّها مع الفعل (ولّى) ومع (الوجه) (وجهك أو وجوهكم)، بينما اسـتعملت (تلقاء) اسـتعمالات مختلفة بغير هذا التحديد، ولم نعثر في اسـتعمال آخر على (شـطر) مسـبوقة بحرف جرّ، كما اسـتعملت (تلقاء) كذلك (من تلقاء نفسي))

(الراجحيّ، ١٩٩٩ م، ٢٣١ – ٢٣٢). ولعلّ ممّا يمكن قوله هو أنّ المفردة (شطر) تدلّ على القصد، الاختيار والنيّة، وهذا ما لا يلحظ في المفردة (تلقاء)، وما يعزّز هذا الرأي ما يراه الخليل في معنى (شطر)، إذ قال: (شطر كلّ شيءٍ قصده، وشطر كلّ شيءٍ نصفه، وشطرته جعلته نصفين) (الفراهيديّ، ١٤٣٥ ه، ٢ – ٩١٦).

ومثله قوله تعالى:)والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ([سورة المائدة: ٣٨]، فقد فسّر الزمخشريّ: باليمينين، وأكّد هذا التفسير، بقوله: (بدليل قراءة عبد الله (والسارقون والسارقات فاقطعوا أيمانهم)) (الزمخشريّ، ٢٠٠٩ م، ١ – ٦١٩).

وقوله تعالى:)وما يُشعركم أنّها إذا جاءت لا يؤمنون([سورة الأنعام: ١٠٩]، إذ نقل الزمخشريّ أنّ قوله (أنّها) بمعنى: لعلّها، وجعل سنده في ذلك (قراءة أبي (لعلّها إذا جاءت لا يؤمنون)) (الزمخشريّ، ٢٠٠٩ م، ٢ – ٥٥)

وقوله تعالى:) وقالوا هذه أنعام وحرثٌ حِجْرٌ لا يطعمها إلاّ مَن نشاء بزعمهم ([سورة الأنعام: ١٣٨]، فقد فُسّر قوله (حِجْرٌ) بـ: حرجٌ، إذ قرأ ابن عباس (حرج)، وهو من التضييق) (الزمخشريّ، ٢٠٠٩ م، ٢ – ٦٨).

وكذلك قوله تعالى:) إنّي أراني أعصر خمراً ([سورة يوسف: ٣٦]، إذ قرأ بعضهم (أعصر عنباً)، فالخمر في الآية الكريمة (يعني عنباً، تسمية العنب بما يؤول إليه. وقيل: الخمر – بلغة عمان – اسم للعنب. وفي قراءة ابن مسعود: أعصر عنباً) (الزمخشريّ، ٢٠٠٩ م، ٢ – ٤٥٠). فإذا كان الخمر هو العنب بلغة عمان، فلماذا لم يقرأ بلفظ (العنب) إلاّ في هذه الآية الكريمة ؟، إذ إنّ لفظ (الخمر) قد ورد في ستة مواضع، منها هذه الآية، ولم يُنقل لنا أنّه قد قرأها بلفظ (العنب) إلاّ في هذا الموضع، فالذي يبدو (من هذه الآيات أنّ اللفظة قد استعملت على حقيقتها في المواضع كلّها في ما عدا الموضع الذي نحن بصدده) (الراجحيّ، ١٩٩٩ م، ٢٣٣)، فلا يبقى إلاّ القول إنّ هذه القراءة قد جاءت بسبب السياق التركيبيّ، الذي جاءت فيه المفردة، فالعصر يكون للعنب لا للخمر؛ ولذا يرى البلاغيون أنّها (نوع من المجاز، وهو تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه) (الراجحيّ، ١٩٩٩ م، ٢٣٢).

وقوله تعالى:) أفلم ييأس الذين آمنوا ([سورة الرعد: ٣١]، إذ (قرأ عليّ u ، وابن عباس، وعليّ بن الحسين u، وزيد بن عليّ، وجعفر بن محمد u، وابن أبي مليكة، وعكرمة، والجحدريّ، وأبو يزيد المزنيّ (أفلم يتبيّن)، والقراءة المشهورة (ييأس)) (الطبرسيّ، ١٤٢٦ ه، ٦ - ٥٦).

وقوله تعالى:) فأتى الله بنيانهم من القواعد ([سورة النحل: ٢٦]، إذ (روي عن أهل البيت عليهم السلام (فأتى بيتهم من القواعد)) (الطبرسيّ، ١٤٢٦ ه، ٦ -٢٢١).

وقوله تعالى:) وتجعلون رزقكم أنّكم تكذبون([سورة الواقعة: ٨٢]، فينقل الطبرسيّ أنّ (قراءة عليّ u ، وابن عباس، ورويت عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) (وتجعلون شكركم)) (الطبرسيّ، ١٤٢٦ه، ٩ - ٥٥٥).

وقوله تعالى:) يأكلن ما قدّمتم لهنّ ([سورة يوسف: ٤٨]، إذ قرأ الإمام جعفر بن محمد الصادق u قوله ما قدّمتم: (ما قرّبتم) (الطبرسيّ، ١٤٢٦ه، ٥ - ٥٩١).

ولعلّ منه ما جاء في قراءة قوله تعالى:)وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ([سورة يوسف: ٤٣]، إذ (قرأ جعفر بن محمد u (سبع سنابل)) (الطبرسيّ، ١٤٢٦ ه، ٥ - ٥٩١).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الأندلسيّ، أبو حيّان (٢٠٠٥ م)، البحر المحيط في التفسير – بعناية: عرفان العشاحسونة – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.

الأنبـاريّ، أبو البـركات (٢٠٠٦ م) البيان في غريب إعراب القرآن – تحقيق: طه عبد الحميد طه – ط ٢ – الهيأة العامة للكتاب – القاهرة.

أنيس، إبراهيم (١٩٩٢ م)، في اللهجات العربيّة – ط ٨ – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة

الجرجانـيّ، علـيّ بن محمـد (٢٠٠٣ م)، كتاب التعريفـات – ط ١ – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

الجزريّ، محمد بن محمد (د. ت)، النشر في القراءات العشر – أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع – دار الكتب العلمية – بيروت.

ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (١٩٩٨ م)، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: محمد عبد القادر عطا – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت.

جولد تسهر، إجنتس (١٩٩٢ م)، مذاهب التفسير الإسلاميّ – ط ٥ – دار اقرأ – بيروت

الدمياطي، شـهاب الدين أحمد بن محمد (د. ت)، إتحاف فضلاء البشـر في القراءات الأربعة عشر – رواه وصححه وعلّق عليه: علي محمد الضباع – د. ط – دار الندوة الجديدة - بيروت.

الراجحيّ، عبده (١٩٩٩ م)، اللهجات العربية في القراءات القرآنية – ط ١ – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض.

الزركشـيّ، بـدر الدين محمد بن عبـد الله (٢٠٠٦ م) البرهان في علوم القرآن – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم – د. ط – المكتبة العصرية – بيروت.

الزمخشـريّ، جار الله (٢٠٠٩ م) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – رتبه وضبطه: محمد عبد السلام شاهين – ط ٥ – دار الكتب العلمية – بيروت.

السيوطيّ، جلال الدين (١٤٢٩ه)، الاتقان في علوم القرآن – ضبطه وصححه وخرّج آياته: محمد سالم هاشم – ط ٢ – منشورات ذوي القربى – قم.

صلاح، شـعبان (٢٠٠٥ م)، موقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجريّ – د. ط – دار غريب – القاهرة.

الطبرسـيّ، الفضل بن الحسـن (١٤٢٦ ه)، مجمع البيان في تفسـير القرآن – ط ١ – دار الأسـوة للطباعة والنشر – طهران.

الطوسـيّ، محمد بن الحسـن (٢٠١٠ م)، التبيان في تفسـير القرآن – تحقيق: أحمد حبيب قصير

العامليّ – ط ١ – دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.
العكبـريّ، أبو البقـاء (١٣٧٩ ه ش)، إملاء ما منّ به الرحمن من وجـوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن – أبو البقاء العكبريّ – ط ٣ – مؤسسة الصادق – طهران – ١٣٧٩ هـ ش.
ابن عاشور، الطاهر (٢٠٠٠ م)، تفسير التحرير والتنوير، ط ١، مؤسسة التأريخ، بيروت.
أبو عبيدة، معمر بن المثنى (د. ت)، مجاز القرآن – تحقيق: فؤاد سزكين – د. ط – مكتبة الخانجيّ – القاهرة.
العكبريّ، أبو البقاء (١٤٣٣ ه)، الكليّات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية – تحقيق: عدنان درويش، محمد المصريّ – ط١ – منشورات ذوي القربى – قم.
ابن غلبون، طاهر بن منعم (٢٠٠١ م)، التذكرة في القراءات – تحقيق: سـعيد صالح زعيمة – ط ١ - دار الكتب العلمية – بيروت.
الفارسـيّ، أبو علي الحسـن بن عبد الغفار (٢٠٠٧ م)، الحجة في علل القراءات السـبع، تحقيق: عـادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوّض، أحمد عيسـى حسـن المعصـراويّ، ط ١، دار الكتب العلمية – بيروت.
الفرّاء، يحيى بن زياد (٢٠٠٢ م)، معاني القرآن – قدم له وعلق عليه: ابراهيم شـمس الدين – ط ١ – دار الكتب العلمية – بيروت.
ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (٢٠٠٧ م)، تأويل مشكل القرآن – تحقيق: إبراهيم شمس الدين – ط٢ – دار الكتب العلمية – بيروت.
ابن مجاهد (٢٠١٠ م)، السـبعة في القراءات – – تحقيق: شـوقي ضيف – ط ٤ – دار المعارف – مصر.
المخزوميّ، مهديّ (١٩٨٦ م)، مدرسـة الكوفة، ومنهجها في دراسـة اللغة والنحو – ط ٣ – دار الرائد العربيّ – بيروت.
المقـريّ، إسـماعيل بن خلف (د. ت)، كتـاب العنوان في القراءات السـبع – تحقيق: زهير غازي زاهد، خليل إبراهيم العطية – ط٢ – نشر وتوزيع مؤسسة المنار العراقية – النجف الأشرف.
مكـرم، عبـد العال سـالم (١٩٦٨ م) القـرآن الكريم وأثره في الدراسـات النحويّـة – د. ط – دار المعارف – مصر.
مكـرم، عبـد العال سـالم (١٩٩٦ م)، القراءات القرآنيّـة وأثرها في الدراسـات النحويّة –ط ٣ – مؤسسة الرسالة – بيروت.
ابن منظور (٢٠٠٥ م)، لسـان العرب – مراجعة وتدقيق: يوسـف البقاعيّ، إبراهيم شـمس الدين، نضال علي – ط ١ – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.